

كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت، في توقيع إتفاقيّة وهب محفوظات الندوة اللبنانيّة بين مؤسّسة الندوة اللبنانيّة وورثة ميشال أسمر وجامعة القديس يوسف، وفي افتتاح "أرشيف الندوة اللبنانيّة" لملفوظات ميشال أسمر من قِبَل مكتبة حرم العلوم الإجتماعيّة ، في ١٦ كانون الأوّل (ديسمبر) ٢٠١٦ في الساعة الحادية عشرة من قبل الظهر.

من خلال استقبالنا لملفوظات الندوة اللبنانيّة في جامعتنا وبيننا، نطالع صفحة أساسيّة للسيد ميشال أسمر لأنّ مؤسس الندوة في العام ١٩٤٦ كان ميشال أسمر، وكان هو الذاكرة، وبالتالي جزءاً نبيلًا وملتمزًا من ذاكرة لبنان. هذا الإنتقال للأرشيف برعاية معالي وزير الثقافة السيد ريمون عريجي والاهتمام الذي توليه السيّد رينيه أسمر حريوز، رئيسة مؤسّسة الندوة اللبنانيّة، يعود بي عشرات السنين إلى الوراء. في هذا السياق، اسمحو لي أن أتحدّث عن تجربة شخصيّة. في الواقع، إحدى العلامات التي لا تُمحي من حياتي كان لقائي مع السيد الأمين العامّ للندوة اللبنانيّة ميشال أسمر تلاه لقاءً آخر محفورٌ أيضًا في الذاكرة وهو مع الأبّاتي يواكيم مبارك. ستطرحون عليّ السؤال التالي : في أيّ ظرف من الظروف وبأيّ واسطة تمّ هذا اللقاء، لأنّ في لبنان يجب دائماً وجود شخص يعرفكم على رجال عظام من مكانة ميشال أسمر ويواكيم مبارك ؟ كنت بالكاد بعمر ١٩ عامًا، وكنت قد جئت إلى جامعة القديس يوسف حين دعاني الأب سامي كوري اليسوعيّ عنده في الإكليريكيّة الكبرى ليسألني عمّا أودّ القيام به بالإضافة إلى دراستي. أجبته أنّ العمل في صحيفة يوميّة سيكون بالنسبة إليّ تجربة رائعة. في صباح اليوم التالي، إستدعاني المدير العام لجريدة "لسان الحال"، وأصبحتُ واحدًا من مراسلي الصحيفة بعد قيامي لزامًا بدورة تدريبية في تصحيح المقالات وإتقان لغة التحرير في المطبعة. وبالتالي أصبحت إحدى إلتزاماتي وتوجّهاتي المفضّلة القاعة الكبيرة للندوة اللبنانيّة في حيّ اليسوعيّة حيث كانت تُعقد بانتظام المحاضرات الكبيرة التي يعطيها أفضل المحاضرين في ذلك الوقت في مجالات مختلفة من الحياة الوطنيّة والإقتصاديّة والسياسيّة. منذ التغطية الأولى لإحدى المحاضرات، أعتقد محاضرة رغيد الصلح، إتصل بي ميشال أسمر لينقل لي تقييمه ورغبته في أن يراني في المرّة المقبلة. أتذكّر أنّه بالإضافة إلى التشجيع، كان للسيد أسمر بعض الملاحظات وجّهها لي في ما يتعلّق بصياغة بعض الأفكار الذاتيّة. وكانت هذه الواقعة الطريفة نقطة بداية لتوطيد علاقة صداقة طويلة حيث تعلّمت الكثير وتعمّقتُ بالفكر التأسيسيّ لمؤسس الندوة. وعندما أراد المونسنيور مبارك إخراج خماسيّة الإسلاميّة المسيحيّة في منشورات الندوة اللبنانيّة، وكنت هناك لمساعدته في مراجعة وتصحيح بعض الاختبارات ومن ثمّ

عندما بدأ بلورة الخماسية المارونية من أجل إصدارات منشورات، كانت مساهمتي هي الأهم، وكل ذلك برعاية ميشال الأسمر الأبوية وهو الذي كان يشكّل، مع زميله مبارك، ثنائياً لا ينفصل الواحد عن الآخر. إنّ منزل آل اسمر لم يكن غريباً عني، وكان يلزم بضع مئات من الأمتار من شارع الجامعة للانضمام إلى ميشال ورغبته في مشاركته والحديث معه عن مشاريعه التي كانت تهدف في جعل لبنان مركزاً فكرياً وثقافياً. لم تكن المحاضرات التي تُلقى فيه أمام جمهور مختار مجرد إستعادة معلومات أو آراء منفصلة عن الواقع، ولكنها كانت نصوصاً ذات نهج نقدي ونقطة انطلاق لنقاشات محتدمة في بعض الأحيان، مما يجعل مداخلات كهذه أنية حتى اليوم.

في الواقع، وكما نعلم، كانت الندوة اللبنانية أمراً أصيلاً تماماً وظاهرة لن تتكرّر في حياة لبنان الحديث خلال أربعة عقود. كان هذا في المقام الأول منبراً لمحاضرين لبنانيين مرموقين مثل ميشال شيا، وكمال جنبلاط، وشارل مالك، وموسى الصدر، ويوحنا مبارك، ومصطفى النصولي، وشارل قرم، وبهيج طبارة ومن سائر العالم العربي (مثل أدونيس وبورقيبة) أو حتى من بلدان أخرى (مثل أرنولد توينبي Arnold Toynbee ، وليوبولد سيدار سنغور Léopold Sedar Senghor ، ول.ج. لوبريه L-J. Lebret). وقد استطاع ميشال أسمر أن يجتذب أربعئة محاضر لأكثر من ٦٠٠ محاضرة. في هذا الإتجاه، كانت الندوة ثانياً منتدى لقاءات وتبادل وتفكير وكذلك داراً للنشر. من جزاء كلّ هذا كان هناك تقارب حول موضوع رئيسي هو وصف التكوين الثقافي والفكري والسياسي للبنان الحديث كهوية، وأمة وشعب ودولة. وقد تضاعفت هذه الثابتة ثالثاً مع هاجس متوسط وطويل الأمد، ألا وهو "بناء البيت اللبناني". وكان هدف ميشال أسمر إعادة بناء لبنان على أسس أكثر صلابة وتعزيز أسس الميثاق الوطني كما لو أنّه كان يستشعر الأزمة الكبيرة التي عاشها لبنان من ١٩٧٥ حتى عام ١٩٩٠ والتي زعزعت بناءه البشري والسياسي لدرجة استمرت الأزمة بآثارها الجانبية الفاسدة حتى اليوم. حين نذكر اسم ميشال أسمر نعود إلى الماضي. ولكن هذه العودة إلى الماضي، بالنسبة إلى سميير فرنجية، تجربنا أن "تصبح على بيّنة من الانحدار الذي يسم الزمن الحالي. كان ميشال أسمر رجل ميثاق عام ١٩٤٣ ومنفتحاً على آفاق تطوره. وبعد مرور أكثر من ٤٠ عاماً، تمّ اعتماد ميثاق جديد، إتفاق الطائف. ويصحّ القول إنّ قلة من بين المسيحيين والمسلمين تحرّكوا ليتكفّلوا في تعزيز ميثاق العيش المشترك هذا في حين اتّخذت جامعة القديس يوسف إجراءات في هذا المجال، وتحدّثت من أجل دعم الميثاق. ولكن ما يشكّل خطورة هو أنّ القادة السياسيين لم يفهموا ما يحمله هذا الميثاق ومفاهيمه في المواطنة والتعددية وأنا متأكد أنّ ميشال أسمر سيقول لنا ألا نقرأ الإتفاقية من منظور المحسوبية في

تحديد الهوية، أو بالنظر إلى أرباح وخسائر المجتمع ولكن من حيث العيش المشترك في الاحترام المتبادل والدعوة إلى الحرية.

لذلك كان نهج الندوة متعدّدًا وثقافيًا وإجتماعيًا وإقتصاديًا وحتّى روحيًا ودينيًا. لهذا السبب، في خلال أسبوع لا يُنسى من العام ١٩٦٥، عُقدت مؤتمرات عدّة أصبح فيها الكلام يتطرق إلى الحوار الإسلامي المسيحي والتعايش اللبناني القائم على اللقاء والإرادة المشتركة في العيش معًا، وكان هذا أمرًا جديدًا. وفي هذا الإتجاه، لطالما كانت ندوة ميشال أسمر تعبيرًا عن الضمير اللبناني بحثًا عن المصالحة مع نفسه ومكانًا للتفكير يهدف إلى تطوير العلم اللبناني أو علم لبنان. كان ميشال أسمر يلهو بالقول (سمعته يقول هذا) إنّ العديد من أماكن العبادة موجودة في لبنان، ولكن من الضروري تطوير مكان آخر للعبادة يتخذ بعد الفكر اللبناني، وبالتالي تأسيس معبد للفكر اللبناني. رحل ميشال أسمر في أعقاب حادث وقع ليلة عيد الميلاد، ليلة ميلاديّة : فليكن استقبالنا لمحفوزات الندوة ولادة جديدة لهذه الندوة خاصّة أنّ استقبال الأرشيف هذا، بوجود أسرة و أصدقاء الندوة، يتمّ قبل بضعة أيام من ليلة الميلاد.

أودّ في نهاية الكلمة أن أشكر كلّ من ساهم في جعل هذه المحفوظات في مكانها في هذه المكتبة الجميلة المعروفة قديمًا بمكتبة كليّة الحقوق التي أصبحت مكتبة حرم العلوم الإجتماعيّة في جامعة القديس يوسف في شارع هوفلين Huvelin . أودّ أن أذكر أسماء السيّد رينيه أسمر حربوز والسيّد ليلي رزق، مديرة المكتبة، وكذلك السيّد لارا بستاني، مرجعيّتنا القانونيّة. بالنسبة إلينا وبالنسبة إلى الكثير من اللبنانيين، إذا احتوت هذه المحفوظات محتويات قيّمة ومراسلات غنيّة جدًّا فهي جزء من الذاكرة الحيّة في بلادنا التي ترجعنا إلى الماضي ولكن ليس أي ماضٍ. هذه المحفوظات التي ستكون مفتوحة للجمهور مع بعض شروط الإستعمال، سيتمّ الإعتناء بها والاحتفاظ بها بشكل جيّد فتوضع في خدمة لبنان الذي هو على مستوى أحلام ميشال أسمر الكبيرة، ميشال أسمر الذي كان يحمل قضية هي قضية لبنان الحريّات والصدّاقة والسلام التي من أجلها يجب أن نناضل دائمًا.